

الامامة والسياسة

[103] أما نتي، فمن أين أقبلت تشكو الكلل والجوع ؟ قال: من الشام، شهدت وفاة عمر بن عبد العزيز، وحضرت جنازته. قالت: إنا   وإنا إليه راجعون. نور كان في الدنيا فطمس، ثم زالت عنه، وتنحت وفرت منه، وهابته خوفاً من أن يعدو عليها، ثم انسل الكلب ذاهباً، فلما أصبح الرجل جعل يقول للهرة: أي جنة، جزاك   عنا خيراً. قال: فاستوبرت (1) الهرة، وذهبت فلم ترد بعد، فكتب ذلك اليوم فجاءهم موت عمر في ذلك اليوم. وذكروا أن زياد بن عبد   أخبرهم قال: كان رجل في بعض كور الشام يعالج أندرا (2) له مع زوجته، وكان قد استشهد ابن لهما منذ زمان طويل، فنظر الرجل إلى فارس مقبل نحوهما. فقال الرجل لزوجته: يا فلانة، هذا و  ابني وابنك مقبلا، فنظرت المرأة فقالت: أخدعك الشيطان ؟ إنك مفتون بابنك، وإنك تشبه به الناس كلهم، كيف يكون ابنك، وابنك استشهد منذ حين، فاستعاذ الرجل ب  من الشيطان الرجيم، ثم أقبل على أندره يعالجه، ودنا منهما الفارس، ثم نظر ثانية، قال: يا فلانة، ابني و  وابنك، فنظرت ودنا منهما الفارس، فلما وقف عليهما فإذا هو ابنيهما. قال: فسلم عليهما وسلمما عليه. فقالا له: يا بني أما كنت استشهدت منذ حين ؟ قال: نعم. إلا أن عمر بن عبد العزيز توفي الليلة، فاستاذن الشهداء ربهم عز وجل في شهود جنازته، فأذن لهم، وكنت فيهم، فاستأذنت ربي في زيارتكما والنظر، فأذن لي، ثم ودعاه، وسلمما عليه، ودعا لهما، ثم ذهب؛ ولاية يزيد بن عبد الملك بن مروان قال: وذكروا أن الامر صار بعد عمر بن عبد العزيز، إلى يزيد بن عبد الملك، بعهد سليمان أخيه إليه بذلك، وإلى عمر، وكان يزيد قبل ولايته محبوباً في قريش بجميل مأخذه في نفسه، وهديه وتواضعه وقصده، وكان الناس لا يشكون إذا صار إليه الامر، أن يسير بسيرة عمر لما ظهر منه. فلما صارت إليه الخلافة حال عما كان يظن به، وسار بسيرة الوليد أخيه، واحتذى على مثاله، وأخذ مأخذه، حتى كأن الوليد لم يمت، فعظم ذلك على الناس، وصاروا من ذلك إلى أحوال يطول ذكرها، حتى هموا بخلعه، وجاءهم بذلك قوم من أشراف قريش، وخيار بني أمية، وكانت قلوبهم قد سكنت إلى هدى عمر، واطمأنت إلى عدله بعد النفار، والانكار لسيرته، وعاد ذلك من قلوبهم إلى الرضا بأمره، والقنوع بقصده عليهم، وتقصيره في إدراك المطامع، والعطايا عليهم، واتهم منهم نفر بالخلع والخروج، فأخذهم عمه محمد بن _____ (1) استوبرت الهرة: أي توحشت وسارت في أمكنة بعيدة (2) الاندر: البيدر: الجرن الذي يدرس فيه القمح ونحوه، ويعالجه يعملان شيئاً فيه لاصلاحه أو نحوه (*)

